15me Année No. 707

Lundi — 20 — 1 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٦٦ — ٢٠ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أشهر الرسائل العالمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كلمة الرسالة من الكلمات التى يستشهد بها على تطور الكلمات فى معانيها ودلالاتها على حسب أحوال الزمن ومناسباته، فالرسالة مكتوب يرسل من إنسان إلى إنسان، والرسالة دعوة دينية يؤديها رسول من الله، والرسالة مهمة من مهام الإصلاح والإرشاد، والرسالة فى المصطلح الحديث كتاب صغير فى بحث وجيز، والرسالة اسم هذه المجلة التى تجمع بين هذه الدلالات ما عدا الرسالة السماوية التى يختص بها الرسل من الأنبياء.

وربما كان أصل الكلمة كلها من مادة « الرسل » بمعنى اللين إذ يفيض سهلا من الأنداء، ثم استعملت للخصب والسهولة والانطلاق الرخى الذى لا تعويق فيه، ثم كان إرسال الشيء عامة هو نقله من مكان إلى مكان فى رفق ولين. ثم كان الإرسال لكل تحريك رقيق أو عنيف ورخى أو شديد.

وهكذا تتطور الكلمات فى اللغة العربية وتبقى أصولها كما تبقى معانيها المجازية وهى تتحول مع الزمان وتحولنا معها وإن أبينا عليها التحويل.

* * *

والرسائل التى نعنيها فى هذا المقال هى المكاتيب بين الآحاد وهى أيضاً قد تحولت مع الزمن وتطورت مع مستحدثاته السابقة واللاحقة، ومنها تعميم الكتابة وتنظيم البريد وشيوع المطبعة على التخصيص.

فانتشار التعليم مع انتظام البريد قد جعل الرسالة كثيرة الأغراض يكتبها العامى الجاهل كما يكتبها الأديب المطلع، وتكتب فى الشئون اليومية كما تكتب فى الشئون الإنسانية الباقية. فليست كتابتها اليوم موضع احتفاء وتنميق كما كانت يوم كان كتابها جميعاً من العلماء والأدباء. وكانت — لصعوبة انتظام البريد — تدخر للموضوعات النادرة والأساليب الأدبية أو الأساليب التى تلاحظ فى مخاطبات الدول والرؤساء.

وشيوع المطبعة قد جعل الطبع وسيلة لنشر المؤلفات العلمية والمصنفات الأدبية. فأصبحت الرسالة الخصوصية كالملابس الخصوصية فى قلة الاحتفاء والعناية، وكادت العناية أن تقصر على الموضوعات التى تذاع وتشاع، خلافا لما كان فى عصور الأمية ونقل الكتب بالأيدى فى نسخ معدودات.

فأقل ما يقال عن تطور الرسالة مع الزمن أنها لم تتقدم فى عصر المطبعة والبريد، وأنها أصبحت من الموضوعات التى لا تخص بالتجويد والتحسين، وقد تخص بالمجلة وقلة الاكتراث.

وهذا سبب من أسباب الحرص على هذا التراث الذى يستحق الاحياء والاستبقاء، ولعلنا نحببه ونحبب العناية به إلى كتابه إذا أهدنا ذخائره القديمة إلى الذيوع والتداول، وأضفنا إلى رسائل

البلغاء فى اللغة العربية نماذج أخرى من رسائل البلغاء فى اللغات العالمية ، كما فعل صاحب الكتاب .

هذا الكتاب هو « رسائل العالم الكبرى » وجامعه هو لنكولن شستر الأمريكى Schuster ومصادره هى لغات العالم القديم والحديث ومنها اللغة العربية . فقد ترجم منها رسالة الاسكندر إلى دارا التى يسمى فيها الاسكندر بلفظه العربى Zu Ulkurnain ذى القرنين ، وترجم غير هذه الرسالة من الروسية والألمانية والفرنسية واللاتينية والإغريقية . فكان الكتاب من أوفى مجموعات الرسائل الكبرى التى ظهرت فى العهد الأخير .

ومن أصحاب الرسائل المجموعة رجال من أعظم أعلام التاريخ فى العلم والفن والحرب والسياسة . نذكر منهم كولمبس وباكون وفولتير وواشنطون ونابليون وروبسبير وهكسلى الكبير وبيتهوفن وبيرون ودستيفسكى ونيتشة ولنكولن وزولا ومارك توين وعشرات من هذه الطبقة فى العصور القديمة والحديثة ، يفرغون قلوبهم فى ودائع أدبية لم يقدروا لها — أو لأكثرها — أن تصل إلى أيدى القراء ، ويسرون فيها أحيانا غير ما يعلنون من الوساوس والآراء .

وفى المجموعة رسائل لأناس لم يشتهروا فى الشرق كما اشتهر الذين ذكرناهم فيما تقدم ، ولكن رسائلهم فى الغرب ذخيرة من أنفس ذخائرهم المروية بين الأدباء والأديبات ، ومن هذا القبيل رسائل أبيلاب الفيلسوف الكاهن وهلواز الفاتنة المترهبة ، وقصة حبها الفاجع كأغرب القصص التى تروى عن عشاق العرب المشهورين .

توفر على ترجمة نخبة من هذه الرسائل إلى اللغة العربية أديب قدير فى النقل من الإنجليزية إلى العربية ومن العربية إلى الإنجليزية ، وهو الأستاذ محمد بدران ، وأصدر الجزء الأول منها فى أكثر من مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وسماه أشهر الرسائل العالمية ، وأجاد النقل فى لغة سهلة صحيحة دقيقة التعبير . فهيأ لقراء العربية مادة من القراءة الممتعة النافعة لم تتهيأ لهم قبل هذا الكتاب ، وأعطاهم فى كل رسالة من هذه الرسائل التى بلغت خمسا وستين زادا للفكر والعاطفة يفهم القلب والخيال

ويأبى شستر صاحب المجموعة الإنجليزية أن يصدق أن عصر البرق والتلفون قد جنى على الرسائل وضيق عليها المجال . فهو يقول فى مقدمة المجموعة : « إن اعتقاد المعتقدين أن البرق والتلفون قتل فن المراسلة هو فى رأيى اعتقاد بغير أساس . ومن حين إلى حين ينهض كاتب من كتاب المقالات والفصول فينعاها ويأسف لزوالها فى غضب مشروع ، وأنه لكن ينسى وقائع الحب العظمى والصراع العظيم والفن العظيم والمأساة العظيمة والخواطر العظيمة ، وقد يجد الجواب المبين فى الرسائل الباقية التى احتوتها هذه المجموعة واشتملت على تلك الصيحات المثيرة التى بدرت من أميل زولا وروبرت لويس ستفنسون ومدام كورى وبارتوليو فانزيتى ولورنس وكونراد وتروتسكى وتوماس مان . وغيرهم من المعاصرين الذين انتخبنا لهم بعض الرسائل فى هذه المجموعة .. »

وعندنا أن هذا الإشفاق من الرجل المشغوف بفن المراسلة هو ضرب من إشفاق الوالدين على الأبناء .

فكل فنان متعلق بفنه يأبى أن يسمع نعيه أو يترقب زواله ، وكل والد يحب وليده يأبى أن ييأس من حياته ولو أنذره باليأس منه أقدر الأطباء .

ومثل هذا الشغف معقول ومقبول ، ولكنه لا ينفى الحقيقة التى تدل عليها عبارة المؤلف هذه وهو يسوقها لنفسه وللقراء مساق الطمأنة والتبشير . فلو قيس ما كان ينبغى أن يكتب فى العصر الحديث من رسائل الأدباء إلى ما كتب فعلا واختاره فى المجموعة لظهر أن الواقع لا يتجاوز ممشار المطلوب أو المأمول . فإن العصر الحديث يخرج لنا من الأدباء فى كل قطر ما يربى عدده فى الجيل الواحد على عدد أمثالهم فى جميع العصور اليونانية واللاتينية ، وهم مع هذا لم يكتبوا جميعا مثل ما كتبه الأدباء الأقدمون أو ما كتبه معاصروهم من العظماء والرؤساء .

فلا شك فى جناية البرق والتلفون والبريد والمطبعة ومقابلات المسارح ودور الصور المتحركة على تبادل الرسائل البليغة ومساجلات العاطفة والفكر بين أبناء البلد الواحد فضلا عن البلاد القصية ، ولكن الأمل فى دوام هذا الفن منوط بكثرة الكاتبين وإن قل نصيبهم من الكتابة . فان ألفا يكتب عشرهم